تاريخ الاستلام: 2023/01/14 تاريخ القبول: 2023/05/28 تاريخ النشر: 2023/06/18

نور الدين باب العياط *
جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر)
Email : n.babelayat@univ-chlef.dz

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 17/ العـدد 01 -السنة 2023 ص ص 949-974
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8151

الملخص:

ظل القرآن الكريم ولا يزال نصا لغويا يتميز بالأدبية التي تعني أساسا بلاغة أسلوبية متميزة، تكشف عن إمكانات فريدة في التعبير والتصوير يتحدى البشرية في إعجازه وخواصه الفنية، وعلى البون الشاسع الذي بين الشعر والنثر من جهة والقرآن الكريم من جهة أخرى بحكم طبيعة ما يحسنه الناس في الأول وطبيعة ما أنزله الله من كتاب أزلي في الثاني، يظل البيان العربي شامخا بهما على اختلاف المصادر وتفاوت القيمة الفنية.

تأتي هذه الورقة البحثية كاشفة عن التطور الذي لازم "التفسير البياني" مذ كان إشارات عابرة في كتب بعض المفسرين والأدباء، إلى أن تأسس نظريات وقواعد شغلت البلاغيين والمتكلمين فضلا على المفسرين، استعرضنا من خلالها خصائص البيان القرآني، وكذا محاولات التجديد التي أثارتها مدرسة التفسير الأدبي في العصر الحديث ممثلة في أبرز روادها، الشيخ أمين الخولي والأستاذة عائشة عبد الرحمن .

الكلمات المفتاحية *: القرآن ، البيان ، التفسير، البلاغة ، التجديد*

Abstract:

The Holy Qur'an remained and still is a linguistic text characterized by literary meaning, which basically means distinct stylistic rhetoric, revealing unique capabilities in expression and imagery that challenges humanity in its miraculousness and artistic properties, and the vast discrepancy between poetry and prose on the one hand and the Holy Qur'an on the other hand, by virtue of the nature of what people improve in it. The first and the nature of what God revealed from the Eternal Book in the second, the Arabic statement remains lofty with them despite the different sources and the disparity of artistic value.

This research paper comes revealing the development that required the "rhetoric interpretation" since it was fleeting references in the books of some commentators and writers, until the establishment of theories and rules that preoccupied rhetoricians and speakers as well as interpreters, through which we reviewed the characteristics of the Qur'anic statement, as well as the renewal attempts raised by the school of literary interpretation In the modern era, it is represented by its most prominent pioneers, Sheikh Amin Al-Khouli and Professor Aisha Abdel-Rahman.

Keywords: The Qur'an - Statement - interpretation - rhetoric - renewal

* المؤلف المرسل: نور الدين باب العياط

1.المقدمة

تأتي أهمية أي تفسير بأهمية النص الذي يتناوله، ولما كان القرآن الكريم ولا يزال نصا لغويا يتميز بالأدبية التي تكشف عن إمكانات فريدة في التعبير والتصوير، يتحدى البشرية في إعجازه وبيانه وخواصه الفنية، كان تفسيره ولا يزال في تجدد مستمر يأخذ أبعادا في مختلف المجالات الفكرية والمنهجية، باحثا له عن آليات و أدوات تقربه إلى تناول النص القرآني.

وقد شهد القرآن الكريم – على مر الزمن – صنوفا من مناهج تفسيرية تناولته دراسة وتحليلا، ولا يكاد يخلو عصر من العصور إلا وظهر من يتصدر لهذا الحقل الخطير من المعرفة الإسلامية، والمنهج البياني بقي منذ ظهوره الأول وإلى اليوم يتطلع أصحابه إلى آفاق النص القرآني لما بين هذا المنهج وبين القرآن من وثيق صلة، يكفي فيها تصويره الرائع المعجز الذي حير العرب على مر الزمن.

فما هي القضايا الكبرى التي أثارها المنهج البياني؟ وما هي حدود التجديد التي تفترق مع القديم في التفسير البياني؟ و هل كان بناء المنهج الجديد على إلغاء القديم أم كان قراءة نقدية تضاف إلى القديم؟ هل كان يكفي للمنهج البياني أن يتجاوز البلاغة العربية القديمة وتأويلات المفسرين وغيرها مما بني عليه القديم، حتى يعد تجديدا أم كان هناك إعادة البلاغة للتفسير بصورة متجددة أيضا، تتجاوز الجملة إلى النص كاملا والبحث في فنيتها بصورة يتسع معها آفاق النص القرآني؟

2. مفهوم البيـــــان

قبل التفصيل في مفهوم البيان، نود التأكيد على ملاحظة منهجية هي أن الباحث سيرتكب خطأ كبيرا إن اعتقد أن الاهتمام بالبيان، بأساليبه وأنواعه كان من اختصاص علماء البلاغة وحدهم والذين عدوا علم البيان أحد الأقسام الثلاثة التي ينقسم إليها علم البلاغة العربية (علم المعاني – علم البيان – علم البديع)، فالبلاغيون "الذين اتجهوا هذا الاتجاه كانوا آخر من ظهر على مسرح الدراسات البيانية،كما أن تصنيفهم ذاك لعلوم البلاغة لم يتقرر بصورة نهائية إلا في مرحلة متأخرة وبكيفية خاصة مع السكاكي (ت626هـ)." (الجابري، 1990، ص14)

فالبيان قبل السكاكي، وقبل تأسيس البلاغة التطبيقية كعلم مستقل،كان حقلا معرفيا لكل من اللغوي والمتكلم والنحوي والفقيه ، وصعوبة الوقوف على تاريخ المصطلح وتطوره تزداد إذا علمنا أن اللغوي كان متكلما ونحويا وفقهيا في الآن نفسه ، مما يجعل مفهوم "البيان" يتحرك عبر هذه الأنواع الثقافية المختلفة ، ويذهب أحد الباحثين المعاصرين وهو محمد عابد الجابري في

كتابه "بنية العقل العربي" إلى التأكيد على أن البيان كحقل معرفي مقابل حقل "البرهان" و "العرفان"، يشكل منظومة معرفية "كرسته العلوم المعرفية والإسلامية الاستدلالية الخالصة ونعني بها النحو والفقه والكلام والبلاغة"، ثم إن" اللغويين والنحاة والبلاغيين وعلماء أصول الفقه وعلماء الكلام سواء كانوا معتزلة أو أشاعرة أو حنابلة أو من الظاهرية، كلهم وبكلمة واحدة علماء البيان" (الجابري، 1990، ص14)، وسواء وفّق الجابري في هذه الحكم أم لم يوفّق ، فإن البيان كان ولا يزال يمثل الركيزة الأساس في الثقافة العربية والإسلامية إلى اليوم.

2. 1 البيـان لغـة :

يورد الأصفهاني (ت 502 ه) تعريفا للبيان بقوله: "هو الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق ، مختص بالإنسان ويسمى ما بين به بيانا، ويكون على ضربين.

أحدهما بالتنجيز وهو الأشياء التي تدل على حال من الأحوال من آثار صنعه .

والثاني بالاختبار، وذلك إما أن يكون نطقا أو كتابة أو إشارة.

فمما هو بيان بالحال قوله تعالى :{وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ }[الزخرف، 62] أي كونه عدوا بيّن في الحال، وما هو بالاختبار قوله تعالى {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[النحل، 44]، وسمي الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره نحو:{هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} [آل عمران، 138].و سمي ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام بيانا نحو قوله تعالى {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة، 19]".(الأصفهاني،1961، ص69)

أما الجاحظ (ت 255ه)، ففي كتابه "البيان والتبيين" عرض للبيان وخصائصه، وأورد تعريفا له قال "البيان إسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحُجب دون الضمير حتى يُفضيَ السامع إلى حقيقته ،ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فأي شيء بلَّغت الإفهام ،وأوضحت عن المعنى، فذاك هو البيان في ذلك الموضع". (الجاحظ، 1968، ص54) والملاحظ في تعريف الجاحظ اهتمامه إلى جانب قضية الفهم – وهي محور البيان– على جانب آخر وهو "الإفهام"، أي إفهام السامع والمتلقي وإقناعه، ومن هنا أدخل الجاحظ السّامع

كعنصر محدد للعملية البيانية ، ولربما هذا ما دفع به إلى أن يسلك في مؤلفاته وبخاصة "الحيوان" و "البيان والتبيين " أسلوب التنويع والاستطراد قصد الترويح عن السامع وشده إليه.

والزمخشري(ت538هـ) يقول في تفسيره "الكشاف" عند تقديمه لسورة الرحمان إن الله "ذكر ما يميز به الإنسان من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق – النطق- الفصيح المعرب عما في الضمير" (الزمخشري، ص443)،

وعرّف ابن عبد ربه في" العقد الفريد" البيان بقوله: " كل شيء كشف لك قناع المعنى الخفي ،حتى يتأدى إلى الفهم ويتقبله العقل، فذلك هو البيان الذي ذكره الله في كتابه، ومن به على عباده فقال تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}"[الرحمن، 1-4]، ثم يضيف "وقال صاحب المنطق حد أرسطو الإنسان الحي الناطق المبين "(بن عبد ربه، 1953، ص2) .

أما ابن منظور (ت 711هـ) فيعرفه "ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بيانا اتّضح وتبيّن الشيء ظهر، والتّبيّن الإيضاح والبيان الفصاحة، وكلام بيّن فصيح والبيان الإفصاح مع ذكاء، والبيّن من الرّجال الفصيح، والبيان إظهار المقصود أبلغ لفظ وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن وأصله الكشف و الظهور" (ابن منظور، ص214).

ونخلص من جملة المفاهيم للفظ البيان إلى معنى "الكشف والظهور"، وأنّه خاصية ترتبط بالإنسان كما العقل في المنطق الأرسطي، وإن لم يكن غرضنا استقراء جميع أقوال أصحاب هذا الفن فذلك له مجاله في غير هذه الدراسة .

2.2 البيـــان اصطلاحا :

يعدّ عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) مطوّر البحث البلاغي، وواضع أصوله في كتابيه :"دلائل الأعجاز" و" أسرار البلاغة "، ولم يكن عبد القاهر مهتمّا بإعطائنا أيّة حدود بلاغية تخص التعريف في أي مجال، بل كان يؤثر الحديث عن فنية البلاغة بدل الدخول في تحديدات مركبة، فهو يتكلم عن البيان مصرّحا به دون تسميته اصطلاحا، يقول " ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأبسق فرعا، وأحلى جنى ،وأعذب وردا، وأكرم نتاجا، وأنور سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي، ويصوغ الحلي ،ويلفظ الدر، وينفث السحر ويقري الشهد، ويريك بدائع من الزّهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثّمر، والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها ،وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة ، ولما استبنت لها يد الدهر صورة، ولاستمر

السّرار بأهلتها واستوى الخفاء على جملتها إلى فوائد لا يدركها الإحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء" (الجرجاني، ص4).

لقد قدم الجرجاني في هذا النص وصفا تقييميّا للبيان ،مظهرا أهمية هذا الفن ، وإن لم يقف على المفهوم بالطريقة التي سلكها المناطقة وعلماء الكلام في كثير من تعريفاتهم ،كأنه قصد ذلك عن عمد ،ولاعتقاده أيضا أنه من الصعب إضفاء صبغة الجزم على علم يتسع لمعالم عديدة، اتساع اللغة والفن اللذين لصقا به وهما العربية والبلاغة ، وربما هذا ما دفع بالأستاذ أحمد مطلوب على التأكيد أن للبيان "عند هؤلاء – الجرجاني و الزمخشري – معنى واسعا يدل على البلاغة كلها ويكاد كلهم يجمعون على أن البيان هو الإفصاح عما في النفس من المعاني والأحاسيس، وهذا معنى أدبي جميل أعطى البلاغة حياة، وأكسبها رونقا وفتح أمامها السبيل لتخوض موضوعات أدبية بديعة وتكون للمؤلفين أراء نقدية طريفة".(مطلوب، 1975، ص20)

إلى أن استقر مصطلح البيان على تعريف السكاكي (ت. 626هـ) بقوله :" هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد".(السكاكي، ص77)

ويطرح هذا التعريف مسألة كون البيان علم يهتم بمطابقة الكلام للمراد منه، وبالتالي فهو يجعل قصد المتكلم مركز اهتمامه. وكان السكاكي بعد الجرجاني، أول من قسم البلاغة إلى معان وبيان ومحسنات، وحدد موضوعاتها وأرسى قواعدها "و أنه أول من أطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم مصطلح " علم المعاني "، وعلى الموضوعات التي تبحث الصورة الأدبية: التشبيه والمجاز والكناية مصطلح "علم البيان "، وأنه أول من سمى غير هذه البحوث محسنات أو وجوها مخصوصة يصار إليها لقصد تحسين الكلام ".(مطلوب، 1972، ص56) على أنه ورغم جهده في هذا المجال، إلا أنه أقحم البلاغة في مجالات المنطق والحدود، والتقسيمات التي أفقدت رونق البيان، وأحالته قوالب صماء فكان عيبه أنه،" أول من استقل بالبحث البلاغي بعيدا عن قضية الإعجاز القرآني ، كما عزل البلاغة عن معاني النحو التي قرر الجرجاني بحق أنها داخلة في النظم ،وهو الذي جعل البلاغة في "مفتاح العلوم" علما يحصل، وصنعة تضبط بقواعد منطقية، فمع السكاكي خرج البيان من الذوق الجمالي و" فن القول"، إلى قوالب الصنعة وأغلال المنطق، وشغل بالحدود والتعريفات عن لمح سر البيان وذوق الأسلوب وروح النص" (عبد الرحمن، ص129).

ليأتي علم البيان بعد السكاكي مرسلا إرسال المسلّمات،كما عند ابن الأثير(ت636 ه) "وصاحب علم البيان عليه بالنظر في كتابنا هذا أو التصفح لما أودعناه من حقائق علم البيان"(ابن الأثير، 1995، ص36) ثم يحدد في نفس الصفحة موضوع علم البيان، "موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية، وهو والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة، والمراد بها أن يكون عل هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب" (ابن الأثير، 1995،ص36-37)، والجمال هو الميزة التي لا ينازع علم البيان فيها أي علم حتى الذي يشترك معه من جهة الدلالة وهو علم النحو والفكرة قد سبق إليها الجرجاني في ربط النحو بالنظم .

يبقى أن" البيان "رغم الاختلاف في تاريخ ظهوره ومن له السّبق في الكشف عنه، إلا أنه أهم حقل معرفي في منظومة الثقافة العربية إلى اليوم، إن لم يكن أولها على الإطلاق، بدأ شاملا موسعا، فيه كان يجد الفقيه والأصولي والمتكلم والأديب ذاته المعرفية ونظامه الفكري، ثم تقلّص دوره بعد أن استقلت المعارف الإسلامية وانتدبت لها حقولا معرفية خاصة ، لنراه يأخذ حيزا صغيرا من تلك الأقسام البلاغية وهو "علم البيان" .

أصبح من الضرورة الملّحة، إخراج البيان من تلك الضائقة التي أوقعته فيها آليات الصنعة، وتعقيدات التعاريف والحدود إلى رحابة اللغة والفن اللذين ما كانا لولا البيان، حتى أنه ليشعر الباحث وهو يتحرى تعريفا للبيان وكأنه يعبث أمام فن من فنون القول يضيق التعريف ويعجز أن يحدد مجاله .

إن ما تحاوله مدرسة التفسير الأدبي بمنهجها البياني في إرجاع الذائقة الفنية للبلاغة وللقول عامة ، تعكس خطورة ما آل إليه البيان العربي، وأخطر منه أن يفقد الإنسان العربي تذوقه للقرآن الكريم وهو أرقى النصوص قراءة وفهما وتذوقا لمعانيه ، فضلا عن أنه كتاب الله وكلامه المعجز.

3. التفسير البياني للقرآن وتطوره

إذا كان الاهتمام بالتفسير يمكن الرجوع به إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم حينما كان الصحابة يستفسرونه عن بعض معاني الكلمات أو العبارات الواردة في القرآن، أو على الأقل على عهد الخلفاء الراشدين حينما أخذ الناس يسألون الصحابة عما استشكل عليهم من آي القرآن، فإن الاهتمام بوضع شروط للتفسير البياني لم يبدأ إلا مع ظهور الأحزاب السياسية والفرق

الكلامية بعد حادثة التحكيم المشهورة بين علي ومعاوية في معركة صفين، حينما أصبحت الخطابة والجدل الكلامي من وسائل نشر الدعوة وكسب الأنصار وإفحام الخصوم.

ومع ذلك وبالرغم من ظهور شخصيات من الصحابة اهتمت بتفسير القرآن، وتوظيف الشعر الجاهلي لبيان دلالة الألفاظ باعتباره ديوان العرب، وكان بحق عبد الله بن عباس رضي الله عنه (ت.68هـ) " أول المفسرين ورائدا في الدراسات اللغوية والعربية"(سركين،1977،ص43) ، غير أن ما نقل عنه كان شفهيا، ولم تكن محاولات علمية مؤسسة ترمي إلى التنظير لثقافة التفسير البياني، مما يجب على كل ثقافة من قوانين وأسس لتفسير نصوصها ، ويبقى عصر التدوين الذي يمتد زمنيا ما بين منتصف القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث للهجرة ، تمت فيه جمع التراث العربي الإسلامي وتدوينه كاللغة والتفسير والتاريخ و ترجمة الفلسفة ونقلها من اليونانية إلى العربية ، وهو العصر الذي أسس للثقافة العربية والإسلامية، هو العصر الذي تكفل بالانتقال بالثقافة الإسلامية من الشفهي إلى الكتابة والتنظير.

1.3 مرحلة التكوين:

التفسير البياني أحد أهم مجالات الثقافة الإسلامية التي بدأت بوادرها تظهر على يدي جملة من المؤلفين

أ.**مقاتل بن سليمان** (ت.**150**هـ)

هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى من أعلام المفسرين صاحب التفسير المسمى «تفسير مقاتل». أصله من بلخ في أفغانستان «حاليا» وانتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها ، ينسب إليه القول بالتجسيم، كان خصما عنيدا لجهم بن صفوان (ت.128هـ) صاحب مذهب الإرجاء في الإيمان، والجبر في الأعمال، كان إلى جانب الأمويين ضد المعارضة .

وأشهر ما خلف من مؤلفاته " **الأشباه والنظائر في القرآن الكريم** " اهتم بظاهرة تعدد دلالة الكلمات والعبارات في القرآن الكريم .

اتخذ مقاتل في كتابه "الأشباه والنظائر" منهجا خاصا في تناول النص القرآني، مبرزا تعدد الدلالات في اللفظ الواحد، وكانت الفكرة عنده تعنى بالدرجة الأولى بشرح معنى اللفظ في سياقاته المختلفة ، يقول "لا يكون الرجل فقيها حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة" (السيوطي، 1951، ص141)، لقد أدرك مقاتل إدراكا واضحا أن للّفظ الواحد معنى محددا أو وجها محددا، وأدرك أن

باقي الوجوه أو المعاني فروع لذلك المعنى أو الوجه، وبالتالي يكون هو أول من تكلم في البحث الدلالي للكلمة ، فكلمة الموت – مثلا –" لها خمسة وجوه، الأربعة الأولى كلها معاني فرعية،كأن يشار بها في القرآن إلى النطف التي لم تخلق أو إلى الضّال عن التوحيد، أو إلى جذوبة الأرض، وقلة النبات أو ذهاب الروح عقوبة بغير أن يستوفوا الأرزاق، ثم يشير مقاتل إلى الوجه الخامس– الأصلي– بقوله الموت بعينيه ، ذهاب الروح بالآجال وهو الموت الذي لا يرجع صاحبه إلى الدنيا فذلك قوله تعالى{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ } [الزمر، 30]، وقوله تعالى{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }[الأنبياء، 35] وهذا الوجه الخامس هو المعنى المباشر أو الأصلي لكلمة الموت ، أما باقي الوجوه الأربعة فهي معان فرعية "(أبو زيد،2003 ، ص58).

ومن ثمّ كان كتاب مقاتل يتعرض لبعض الألفاظ والعبارات التي وردت في القرآن الكريم ويحاول أن يحصر "وجوه" معاني هذه الألفاظ والعبارات ، مستدلا على وجه من هذه الوجوه بمجموعة من الآيات القرآنية، فعبارة " الظلمات والنور "– على سبيل المثال – لها "وجهان، فوجه منهما الظلمات يعني الشرك ، فذلك قوله تعالى في سورة البقرة{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }"[البقرة، 257]، يعني يخرجهم من الشرك إلى الإيمان نظيرها عنده، وقال في سورة الأحزاب{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً }[الأحزاب، 43]،يعني من الشرك إلى الإيمان، ونحوه كثير، والوجه الثاني الظلمات ، الليل والنور يعني النهار ، وذلك في قوله في سورة الأنعام {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ }[الأنعام، 01] يعني الليل والنهار ليس مثلهما في القرآن "(ابن سليمان،1975، ص116)، غير أن الكتاب لم يستوف البحث الدلالي كاملا، ولم يحقق غاية المنهج البياني في التفسير، وبقي خطوة أساسية فتحت المجال للدراسات البيانية فيما بعد .

ب. أبو زكريا يحي بن زياد الفرّاء (ت**207**هـ):

هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء ولد سنة 144هـ بالكوفة وتوفي في طريق عودته من مكة سنة 207هـ وقيل 209 هـ، عاش في فترة أبي جعفر المنصور، لقي الكسائي فصاحبه وأخذ عنه ، وأشهر ما خلف من مؤلفاته " **معاني القرآن**"، تناول

فيه ظاهرة التجوز والاتساع في النص القرآني، وذكر بروكلمان (Brockelmann) أنه "أول من قعد لدرس تفسير القرآن في مسجد من مساجد بغداد، ولو لا الفرّاء لما كانت اللغة ، لأنه لخصها وضبطها ولولا الفرّاء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم ، فتذهب "(بروكلمان،1961، ص09).

والفرّاء أشهر تلامذة الكسائي أحد القراء السبع ، و أوّل من تناول مسائل النحو ومصادر اللغة وفلسفة اللغة العربية في كتابه " معاني القرآن " ،وقد بدأ بإملاء هذا الكتاب على تلامذته استقراء من فاتحة الكتاب حتى استوفى القرآن العظيم " فكان الرجل من تلامذته يقرأ الآية والفرّاء يفسر ، وهكذا أتم الكتاب إملاء من غير نسخه "(ابن خلكان، 1968، 178).

والمتأمل لمنهج الفرّاء في التفسير ، يلحظ اهتمامه الشديد بالقراءة ،واعتبارها الأصل العلمي في الدراسات القرآنية ، ذلك أنه يراد بهذا المنهج تصحيح القراءة وضبط التلاوة ، فتحريف القراءة ينجر عنه تحريف اللفظ ومعه المعنى ،فهذا المنهج قبل الفراء لم يكن مدونا بل كان يعتمد على الحفظ والذاكرة .ومن الاهتمام بالقراءة جاء الاهتمام بالصنعة النحوية في النص القرآني لأنه العلم الوحيد الذي ضبط الكلمة القرآنية وضبط معها معنى القرآن وتجلياته

ومن اللمسات البيانية في تفسيره، تبيانه لأسلوب الإضمار في قوله تعالى{فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً}[العاديات، 04] "قال "يريد به الوادي ولم يذكر قبل ذلك وهو جائز، لأن الغبار لا يثار إلا من موضع وإن لم يذكر، وإذا عرف اسم الشيء كني عنه وإن لم يجر له ذكر".(الجويني، ص54)، والاستعارة في قوله تعالى{أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ }[الأنعام، 122] " أي كان ضالا فهديناه"(الفراء، 1955، ص 353).

ت. أبو عبيدة معمر بن المثنى(ت.215هـ) :

هو أبو عبيدة معمر بن المثنى النحوي مولى تميم بن مرة ولد ومات في البصرة ، استخدمه هارون الرشيد ، وكان واسع الاطلاع باللغة والأدب والنحو ومن أكثر المؤلفين في العصر العباسي، ويعد كتابه **"مجاز القرآن"** من أوائل الكتب التي بحثت في البيان القرآني وأساليبه، ومقارنته بالبيان العربي، واختلف في تسمية الكتاب، من قائل اسمه" **غريب القرآن"** وقائل اسمه" **إعراب القرآن"**،

لكن الأستاذ محمد النجار رجح في مقدمة تحقيقه الكتاب أن اسمه "مجاز القرآن" على أن أهم محاولة في تأسيس قوانين التفسير البياني للقرآن الكريم من بين المحاولات الرائدة ، هي تلك التي قام بها ، إذ تناول في كتابه "مجاز القرآن" الأساليب البيانية البلاغية في القرآن الكريم التي ستصبح فيما بعد دراسات مفصلة لاستنتاج قوانين وآليات التفسير البياني ، ويقال في سبب تأليفه لكتاب "مجاز القرآن " أن بعضهم سأله في حضرة الفضل بن الربيع والي البصرة في عهد الرشيد عن قوله تعالى {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ}[الصافات، 64-65] ،وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله ،وهذا لم يعرف فقال أبو عبيدة: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول أمرؤ القيس:

أيقتلني و المشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به فاستحسن الفضل ذلك، فاستحسنه السائل وعزم أبو عبيدة منذ ذلك اليوم أن يضع كتابا في القرآن في مثل هذا وأشباهه مما يحتاج إليه من علمه فكتب كتابا سماه "المجاز" (الحموي، ص158-159).

ولأن الجهل بالأسلوب القرآني له خطره في فهم معاني القرآن الكريم، فذلك ما دفع أبو عبيدة لتأليف هذا الكتاب خصوصا وأن عصره، عصر الزنادقة والملاحدة والغريب في شخصية أبي عبيدة نفسها أنه كان "فارسيا شعوبيا متعصب على العرب، وكان يهودي الآباء وكان مسلما ملما بمعارف واسعة جدا"(الجويني، ص58) وشهدت حركة العلماء آنذاك نشاطا في الرد على شبه المشككين ليأتي "مجاز القرآن لأبي عبيدة أحد أهم مظاهر نشاط العلماء في تلك الفترة واهتمامهم بالدراسات القرآنية ، سعيا في الرد على شكوك الطاعنين ، حيث نجد أن أبا عبيدة تناول في كتابه طرق التعبير القرآني مع عرضها ما للعرب من فنون في التعبير ، وبين أن لها مثيلا فكأنه يريد التدليل على عربية القرآن وفصاحته وأنه لم يأت بجديد لم تألفه العرب في كلامها ".(سلام، ص41).

أما فكرة المجاز عند أبي عبيدة لم تكن في مقابل الحقيقة كما استقرت عند البلاغيين فيما بعد، وإنما " تساوي طريق الجواز إلى فهم اللفظة القرآنية "(سلام، ص43)، كأنه يريد لكلمة المجاز أن تؤدي معنى التفسير لا غير، وهي مطلقة ، وذلك " بالانتقال من المعنى القريب أو التركيب المعهود للألفاظ والعبارات إلى معاني وتراكيب أخرى اقتضاها الكلام".(سلام، ص44)

ومن جملة الأمثلة على ذلك ما يؤدي الانقلاب في مدلول الكلمة إلى ضدها،" فقد ينقلب معنى (وراء) إلى (قدام) في قوله تعالى{ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ}[إبراهيم، 16] مجازه –تفسيره– قدامه وأمامه يقال أنّى الموت من ورائك أي قدامك :

أتوعدني وراء بني رياح كذبت لتقصرن يداك دوني

أي قدام بني رياح".(ابن المثنى، 1954، ص337) .

ث. أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ (159–255هـ)

ولد بالبصرة وقد اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته بين 150هـ و165هـ،حظي باهتمام الدارسين، يعد من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي الثاني، استقطب ثقافة عصره، كان معتزلا متكلما بارزا، عد في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة ، جمع بين التفكير العلمي والحس الأدبي ، أشهر ما ألف "البيان والتبيين "والحيوان "، على أن أهم الكتب التي ألفها في البيان القرآني "نظم القرآن "، "حجج النبوة "، مسائل القرآن" ، وكان بارعا في الرد على منكري الإعجاز والنبوة من الملاحدة والزنادقة " ذهب طه حسين (ت1973م) إلى أن الجاحظ، يعد مؤسس علم البيان العربي"(حسين، 1980، ص03)، وربما كان كتابه "البيان والتبيين"، مضافا إلى كتاب "الحيوان" دليلا ينهض على صحة هذا القول، إذ عرض فيهما جملة مهمة من مباحث المعاني والبيان، إلا أن العرض هذا من قبل الجاحظ جاء مجزءا ومفرقا لم يكن متفرغا للقرآن كله بل لبعض من آياته كما يبدو ذلك من خلال معالجته البيانية في "نظم القرآن" و" البيان والتبين".

والحق أن الجاحظ – وهو المعتزلي – قد ساهم إسهاما كبيرا في البحث عن مكامن البيان والبلاغة في القرآن شارحا لها، فجاءت مباحث كتبه في سياق الرد على الطاعنين في القرآن من المانوية وغيرهم من الشّعوبيين أولئك الذين شكّلوا عبر مراحل من التاريخ الحركة المعارضة لتيار المعتزلة، الفرقة التي ساهمت أكثر من غيرها في إبراز خصوصيات البيان العربي وتحليل أساليبه في التعبير وضبطه، بل إن الجاحظ نفسه يؤكد هذا الدور للمعتزلة فيقول: "لولا المتكلمون لهلكت العوام واختطفت واسترقت، ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون "(الجاحظ، 1957، ص153).

وهو صاحب نظرية في النظم اعتمد فيها على التوافق بين اللفظ والمعنى وذلك معنى البلاغة يقول :" قال بعضهم وهو أحسن ما اجتبيناه ودوناه لا يكون الكلام بليغا يستحق اسم

البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك".(الجاحظ، ص81).

والنظرية نفسها– نظرية النظم – ستناقش وبشكل دقيق ومفصل من قبل الجرجاني ويطبقها الزمخشري في تفسيره.

ومن اللمسات البيانية الرائعة في تفسيره لبعض الآيات القرآنية هو دعوته إلى التأمل البعيد ذلك التأمل الذي لا يقف على مظاهر الأشياء من صغر وضآلة، ولكن ينفذ إلى حقائق الأمور واستبطانها ،للاستفادة من الطبيعة بما يملأ العقل والروح فيشيعها ، فكل الأمور في هذا الكون على صغرها هي مواضع للمعرفة ومنابع للوعي والتدبر والبيان يقول" هل فكرت في النحلة والعنكبوت والنملة، وأنت ترى الله تقدس أسماؤه وعن كيف نوه بذكرها ورفع من قدرها وأضاف إليها السور العظام والآيات الجسام وكيف جعل الأخبار عنها قرآنا وفرقانا حيث يقول{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ }[النحل، 68] ،فقف على صغر النحل .. ، ثم ارم بعقلك إلى قوله تعالى {ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[النحل، 69]، فإنك تجدها أكبر من الطود وأوسع من الفضاء ، ثم انظر إلى قوله{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }"[النمل، 18]، فما ترى في مقدار النملة في عقل الغبي وغير الذكي؟ فانظر كيف أضلف الوادي إليها وخبر عن حذوها ونصحها لأصحابها وخوفها ممن مكن فإنك تجدها عظيمة القدر رفيعة الذكر، قد عظمها في عقلك بعد أن صغرها في عينيك".(الجاحظ، ص544-545)

كما أن الجاحظ هو أول من استعمل المجاز للدلالة على جميع الصور البيانية أو على المعنى المقابل للحقيقة ،فهو حينما يتحدث عن المجاز القرآني فإنه ينظر له في قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً}[النساء، 10] ويعد هذا من باب المجاز والتشبيه"(الجاحظ، ص25).

وعلى خلاف من سبقوه يعتبر المجاز في قبال الحقيقة وقسيم لها، وتلك بداية لها قيمتها الفنية، لذا عده طه حسين أول من تكلم في البيان.

ج. عبد القاهر الجرجاني (ت**471** ه)

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني نسبة إلى جرجان المدينة الفارسية التي تقع بين طبرستان وخرسان، توفي سنة 471هـ واختلف في تاريخ مولده ، كان أشعريا شافعيا، متكلما ونحويا وفقيها ومفسرا وشاعرا ونحويا بيانيا، له مصنفات عديدة في كثير من الفنون أشهرها كتاباته البلاغية **"دلائل الإعجاز"، "أسرار البلاغة "، الرسالة الشافية"**، كانت فكرة الإعجاز من القضايا التي اشتغل بها وأوقف عليها أهم مؤلفاته مطور البحث البلاغي و واضع أصوله الفنية في كتابيه الجليلين "دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة ".

لقد بحث في" **أسرار البلاغة** " مفردات "علم البيان "وفي طليعتها المجاز، و بحث في "دلائل الإعجاز" أغلب مفردات "علم المعاني" ،كما اعتبر أن المجاز القرآني من أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز ، إليه تنسب "نظرية النظم في القرآن" وذهب إلى أن إعجازه البياني يكمن في النظم وهي نفس الفكرة التي أثارها الجاحظ من قبل ، بيد أن الجرجاني كان أكثر دقة في تحديد أبعاد هذه الفكرة لاعتقاده أن القيمة البيانية للقرآن الكريم وإعجازه تتوقف في البحث عن النظم، بمعنى "تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض "(الجرجاني، ص57) فلم يول اهتماما للكلمة المفردة لأنها تصبح في النظم شيئا آخر، ولا تحمل متسع الدلالة كما تحملها في سياق النظم "إنه ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التآليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلام ، إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا ، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلاّ بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة "(الجرجاني، ص57) وهو بهذا لا يعتبر الكلمة المفردة ذات شأن في قضية الإعجاز البياني ،وعلى مثل هذا سار رواد المنهج البياني في التفسير من الزمخشري وغيره ، ممن جاءوا بعده.

والجرجاني أول من أصّل البحث في البيان العربي ونظر إلى النظم و السّياق في القرآن بنظرة عميقة ونقرأ له في هذا المجال عمقه في التحليل: "وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافها لفظة قلقة ونابية ومستكرهة إلّا وغرضهم أن يعبروا بالتمكّن عن حسن اتّفاق بين هذه وتلك من وجه معناها وبالقلق عن سوء التلاؤم وان الأولى لم تلق بالثانية في معناها وان الثانية لم تصلح أن تكون لفقا للثانية في مؤداها ". (الجرجاني، ص57)

لقد أغنى الجرجاني البيانيين من بعده في البحث عن الكلمة، إن كانت تؤدي إلى فهم عميق وتفسير جلي لمراد الله أم لا، ليؤكد أن البلاغة والفصاحة ومن ثم البيان إنما كان لأمر جديد في القرآن الكريم، لم يعرفه العرب من قبل على الرغم من معرفتهم العميقة للكلمة. ولكن ما هو هذا الأمر؟ "إنه لا يمكن أن يكون في الكلمة، لان كلمات القرآن معروفة للعرب فلا يمكن أن تكون الكلمة معجزة وغير معجزة، معجزة أن وجدت في القرآن ، وغير معجزة إن في تركيب آخر ولا يمكن أن تكون كذلك معنى الكلمة المفردة. إن معاني القرآن معلومة لديهم كذلك ولا يجوز أن تكون في الحركات ، كما لا يجوز أن تكون في القواطع والفواصل"(عباس، 1985، ص35) فلا يبقى إلا النظم وحده وهو عنده ليس شيئا غير توخي معاني النّحو وأحكامه فيما بين الكلم "، وهو يتجه بمعاني النحو إلى مواضعها في نسق الكلام ونظم الأسلوب لا إلى الصنعة الإعرابية التي تجري بمعزل عن المعنى"(عبد الرحمن،ص121).

لقد استطاع الجرجاني أن يحدث طفرة في الدراسات البيانية تمهيدا لدراسة القرآن حتى أن الشيخ محمد عبده – صاحب دعوة التجديد في التفسير في العصر الحديث — اعتبره أكثر من تذوق البلاغة وقاربها بعلم النفس مما أتاح لأصحاب المنهج البياني الحديث أن يعتمدوا على كثير من الدراسات النفسية في تحليل النص القرآني تورد بنت الشاطئ شهادة محمد عبده فتقول: "من لم يقرأ من كتب البلاغة إلا مثل السمرقندية وشرحي جوهر الفنون وعقود الجمال فشرحي التخليص للسعد التفتازاني وحواشيها، لا يرجى أن يتذوق للبلاغة طعما أو يقيم للبيان وزنا، وإنما يرجى هذا الذوق لمن قرأ "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز"، فإنهما الكتابان اللذان يحيلانك في قوانين البلاغة على وجدانك وما تجد من أثر الكلام في قلبك وجنانك ، فتعلم أن علمي البيان شعبة من علم النفس، فمعرفة مكان القرآن من البلاغة لا يحكمها من الجهة الفنية والذوقية إلا من أوتي حظا من مختار كلام البلغاء المنظوم والمنثور من مرسل ومسجوع حتى صار ملكة وذوقا واستعان بمثل كتابي عبد القاهر". (عبد الرحمن، ص121).

بيد أن الجرجاني أوخذ في مباحثه البلاغية كونه قعد للبلاغة ونظر لها مكتفيا من البيان القرآني في سياق الاستشهاد فقط، ولا يتحرى تناول أبواب البلاغة في النظم القرآني، وإنما يصرف النظر إلى استقراء كلام العرب وتتبع أشعارهم والنظر فيها " فكيف يهون أن نتناول مباحث البلاغة بمعزل عن القرآن الكريم في كتاب يقدم هذه المباحث — يقصد دلائل الإعجاز — مدخلا لفهم النظم القرآني ودلائل إعجازه، على أي حال نرى الجرجاني في – دلائل الإعجاز— قدم

ملاحظ دقيقة مما لمحه من أسرار البلاغة ولم يقدم دراسة قرآنية للإعجاز البلاغي"(عبد الرحمن، ص124).

لقد كان عمل الجرجاني في النهاية تأسيسا للنظر البياني إلى النص وتقعيدا لوسائل هذا النظر، وتوطئة لدروبه ومسالكه على الرغم من الجهود الشاقة التي كانت تقف في وجهه خصوصا وأن الكلام عن القرآن صعب من جهة التناول،كونه كلام الله المنزل على نبيه ومن جهة اللغة التي أنزل به فهي لغة العرب لغة البشر، ونعتقد أن الأستاذ مصطفى ناصف كان قريبا من الجرجاني وصعوبة ما كان يواجهه حين قال: " كان عبد القاهر يعلم أن المفسر يعطي النص من ثقافته، ولكن لا بد أن يأخذ العطاء شكل الكشف، أو أن نشعر بوطأة الكلمات،كان يشعر رغم كل الجهد المتطاول أن اللغة تناوئ التفسير، وأن التفسير لا بد أن ينحني في النهاية لهذه اللغة "(ناصف، 1995، ص75).

وربما سابق لأوانه أن نحكم من خلال هذا البحث المبسط أن الدراسات البيانية انقسمت مع الجرجاني وسلكت اتجاهين: اتجاه سار في تقعيد وتنظير البلاغة وبمثله كما ذكرنا السكاكي في "مفتاح العلوم "، واتجاه آخر استفاد من نظرية النظم وتبناها ليطبقها على النظم القرآني من خلال منهج بياني في التفسير أعاد البيان الذي بدا محتشما مع مقاتل ابن سليمان وأبو زكريا الفراء والجاحظ، أعاده مجددا إلى التفسير إنه العلامة اللغوي الشهير الزمخشري وتفسيره "الكشاف" ومرحلة جديدة في تأصيل التفسير البياني .

2.3 مرحلة التأصيل:

أ. أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (467 –538 هـ):

كان حنفيا معتزليا مجاهرا باعتزاليه ويقول بخلق القرآن، إمام عصره في اللغة والنحو، والبيان، سمي بجار الله لأنه جاور مكة زمنا، أصيب في أسفاره ببرد شديد أثر في إحدى رجليه حتى قطعت وأبدلها برجل من خشب، توفي في جرجانية بخوارزم، خلف مؤلفات مهمة لها منزلة كبرى في آداب اللغة منها "**الكشاف عن حقائق التنزيل**" ويعد ثروة هامة في مادة التفسير البياني ،" **أساس البلاغة**" وهو معجم في اللغة العربية ، يبحث في استعمال الألفاظ ومواضعها من الجمل ،" **المفصل في النحو** "، "**أطواق الذهب** " كالمقامات ،طبع في فينا سنة 1835 وترجم إلى الألمانية ،"المستقصي في الأمثال "وهو معجم للأمثال العربية، والزمخشري من أبرز البيانيين الذين تناولوا

النص القرآني تناولا بلاغيا فاق كل الذين سبقوه، ومهد الطريق للذين جاؤوا بعده "إن تفسير الزمخشري يعد أفضل نموذج للتأويل والاجتهاد والرأي، وقد فتح الباب أمام ما ظهر في عصرنا الراهن من اتجاه إلى تفسير القرآن تفسيرا بيانيا". (اسماعيل، 1975، ص71)، أما تفسيره **"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"** أعظم ما خلفه في هذا المجال يضاف إليه كتابه **" أساس البلاغة"** وهو معجم في اللغة العربية يبحث على الخصوص في استعمال الألفاظ ومواضعها، على أن تفسيره "الكشاف" أخص من جهة تناوله لتفسير القرآن .كان الزمخشري بارعا في النثر والشعر، درس كتابات الجرجاني "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" حتى تمثلها تمثلا منقطع النظير مما جعله يؤمن بأن المعرفة البلاغية وأنماطها وأساليبها لا تكشف فقط عن وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن بل تكشف أيضا عن خفايا معانيه وذخائرها المكنونة ، يقول في مقدمة "الكشاف" :" ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت ومستودعات أسرار يدق مسبكها ، علم التفسير الذي لا يقوم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم ... إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة ، وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثه على تتبع مظانّها همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتغل القريحة وقادها يقضان النفس داركا للمحة وإن لطف شأنها منبها عل الرمزة وإن خفي مكانها "(الزمخشري، ص07) .

يعدّ "الكشّاف" نموذجا تطبيقيا واضحا بعد استنفاذ البعد النظّري والتقعيد للبلاغة وبخاصة البلاغة القرآنية، التي دخلت بعد الجرجاني في التقسيمات المنطقية، اتجه الزمخشري اتجاها تكامليا بمنهج أدبي خالص مستفيدا من "نظرية النظم" للجرجاني وتطبيقها على التفسير، في الوقت الذي لوحظ التفسير عند من سبقوه مجزءا مقطعا لا يكاد يتعدى بعض الأمثلة و النماذج القليلة .

وكانت بداية الزمخشري من حيث انتهى سابقوه، فالتفسير البياني عندهم قصد الكشف عن الإعجاز البلاغي والرد عادة على الخصوم والمشككين والطاعنين من الشعوبية والزنادقة كما فعل الجاحظ، ولما جاء الزمخشري في القرن السادس الهجري أكمل مسيرة الجرجاني ورأى بحنكة الباحث والأديب أن "نظرية النظم تمثل ذروة ما وصلت إليه دراسة البلاغة العربية، ففزع إليها يتخذها سلاحا في تفسير القرآن وبيان وجه الإعجاز فيه".(قصاب، 1985، ص225)، مركزا منهجه في

التفسير على علمي "المعاني" و " البيان"، واعتبرهما مفاتيح الدلالات، ووضوح الإشارات في الجمال البلاغي المعجز في القرآن الكريم، وهذا ما دفع بشوقي ضيف إلى القول أن" الزمخشري أول من ميز بين المصطلحين ، وقسم البلاغة إلى علمين هما المعاني والبيان. (ضيف، ص221)

ومن النماذج التطبيقية في تفسيره "الكشّاف" والتي أبانت بوضوح على "علم المعاني" والذائقة الأدبية الرائعة فيها، مما يوحي بمدى معايشة الزمخشري للنص القرآني بفكره وقلبه ووجدانه كاشفا عن عمق المعنى ،وقوفه أمام قوله تعالى { أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ }[الزمر، 56-59]، يقول في قوله تعالى:{ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي } "لايخلو إما أن يريد به الهداية بالإلجاء أو بالألطاف أو بالوحي، فالإلجاء خارج عن الحكمة، ولم يكن من أهل الإلطاف فيلطف به، وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدي ، وإنما يقول هذا تحيرا في أمره ، وتعللا بما لا يجدي عليه، كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين ، وقوله تعالى{ بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي } رد من الله عليه معناه: بلى قد هديت بالوحي ، فكذبت به، واستكبرت عن قبوله، وآثرت الكفر عن الإيمان، والضلالة عن الهدى— وبين الزمخشري لماذا تأخر جواب القرينة الثانية { بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي } جواب لقوله { أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } — فإن قلت : هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله { لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي } ولم يفصل بينهما بآية . قلت لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن ، وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن، وأما الثاني فلما فيه من نقص الترتيب وهو التحسر على التفريط من الطاعة ، ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة، فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ، ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب" (الزمخشري، ص 404-405) .

كما وجد الزمخشري في "المجاز" حرية واسعة، لمعالجة كثير من الآيات التي كانت محل جدال واسع عند الفرق الإسلامية، ودليلا طعم به "اعتزاليته "في نفي التجسيم –مثلا– فوظف بأسلوب بارع مفهوم التخييل البياني والتخييل في مصطلح الدراسات الإسلامية ولغة القرآن يعني التشخيص، وهو عند سيد قطب خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية والانفعالات

الوجدانية فتصبح حياة إنسانية لها عواطف آدمية كقوله تعالى في الصبح "والصبح إذا تنفس" فهنا تشخيص للصبح وكأنه كائن حي لكي يؤول عن طريقه قوله تعالى "يد الله فوق أيديهم" يريد أن يد الله هي يد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم التي تعلو أيدي المبايعين ، والله منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام ، وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله ، وقد اضطره إلى هذا التأويل البياني ما يأخذ نفسه به من مبدأ التنزيه عند المعتزلة ". (اسماعيل، ص70-71)، ومن الآيات القرآنية التي وظف فيها المجاز كوسيلة بيانية رائعة، قوله تعالى "وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء"[المائدة، 64]، فمعنى قول اليهود "يد الله مغلولة " وصفه بالبخل، وقوله "بل يداه مبسوطتان " تعبير مجازي "يدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه ، وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطي بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك". (الزمخشري، ص220)، قد نكتفي بهذا اليسير من فكر الزمخشري في التفسير البياني، ويبقى في الأخير القول أنه أخذ على الزمخشري دفاعه المستميت على أصول الاعتزال، هذا من جهة الاتجاه الفكري، أما عن البيان القرآني وإعجازه فقد كان الزمخشري "يساير ما اتسم به البحث البلاغي على مدى العصور، وهو النظرة الجزئية إلى العبارة في النص الأدبي، لا تعدوه إلى العمل الأدبي كله"(الجويني، ص300)، وهذا هو عينه ما تعمل المدرسة المتجددة للتفسير البياني تكريسه وفق المدارس الغربية الحديثة .

4. التجديد في البلاغة والتفسير

كان لتعيين أمين الخولي(1895-1966م) أستاذا للدراسات القرآنية والبلاغية والنقدية في كلية الآداب في الجامعة المصرية في أواخر الربع الأول من القرن العشرين، أثره العظيم في إرساء مفاهيم جديدة في مناهج التدريس ونقد المناهج التقليدية التي كانت سائدة وبالأخص في الكليات الدينية، وبنقل الدراسات الإسلامية ومنها مادتي "تاريخ القرآن " و"التفسير" إلى المقررات الدراسية في الجامعة، بدأت حياة قرآنية جديدة في الجامعة لم تعهدها من قبل " كانت دراسة التفسير وقفا على البيئات التي أخلصت نفسها للدراسة الدينية كالأزهر أو التي منها بسبب كمدرسة القضاء الشرعي أو دار العلوم ، فلما أنشئت الجامعة المصرية القديمة اتجهت هي الأخرى إلى دراسة التفسير، وقد أحيت بذلك المنهج اللغوي أو الأدبي في فهم النص القرآني، وتفسيره بعيدا عن الدينيات ومشكلاتها وما تأثرت به من الفلسفة والمنطق". (خليل، ص147).

وبتعيين الخولي أستاذا للبلاغة وضع خطة لتطويرها ومنهجا في تجديد معالمها، وهو بذلك يمهد السبيل إلى فكرة التجديد في التفسير، لما بين التفسير الأدبي والبلاغة من وثيق علاقة أثمرت بحسب هذه المدرسة على منهج عرف بالمنهج البياني في التفسير، طبقته بنت الشاطئ أحسن تطبيق حتى عاد الحديث عنها لا ينفصل ولا يستقم إلا بالمرور على أستاذها الخولي.

والجامعة المصرية في أول نشأتها كانت في حاجة إلى درس الأدب و تاريخه، باعتباره من أهم خصوصيات الأمة العربية التي تتيح للباحث أن يفهمها من خلال أدبها العربي الراقي وتاريخه، وكان لزاما المرور على القرآن وتاريخه وتفسيره بما هو مادة لذلك التاريخ الأدبي الواسع وحلقة هامة فيه، "الحياة الأدبية الجامعية خصبة متجددة متطلعة، مستشرفة، فاتبعت وراء ما استشرف إليه المفسرون من حس العربية وذوقها، وبلاغة هذا الأسلوب ما وراء ذلك وأبعد على أن يكون لهذا التطلع ضابط من طبيعة اللغة وحيويتها فراجت الجامعة تحول التفسير درسا أدبيا محضا، ويستعين بكل ما بلغته وستبلغه الإنسانية الفنية من دقة وتطلع"(سعفان، 1982، ص113).

وتلخص منهج الخولي في جملة ما كتبه في "**تاريخ القرآن** " وهي مجموعة محاضرات لم تنشر، وبحثه الشائق **"التفسير"** وهو تقديم لتاريخ التفسير ومنهجه في دائرة المعارف الإسلامية، ثم طوره فيما إلى كتاب مثّل فعلا عصارة منهجه في التجديد "**مناهج تجديد في النحو والبلاغة و التفسير والأدب**"، غايته فيه دراسة القرآن العظيم من خلال "حياة الألفاظ القرآنية وتدرج دلالتها وتاريخ ظهور المعاني المختلفة للكلمة الواحدة ، وكانت البلاغة القرآنية في مطابقة الكلام لمقتضى الحال أساس الدرس التفسيري مضافا إليها الغرض الديني والبعد العقائدي ". (سعفان، 1982، ص293)

التجديد البلاغي إذن كان أولى ملامح التجديد في التفسير البياني حسب الخولي فكيف هي رؤيته إلى البلاغة وما يجب على الناقد البلاغي أن يدركه حيالها حتى يتسنى له النظر فيما يجب أن يضيفه أو يحييه فيها ؟.

يقول أمين الخولي في كتابه "مناهج و تجديد" تحت عنوان "في البلاغة ": "كانت محاولتي الأولى في سبيل البلاغة هي تحقيق فنية البلاغة، والانتهاء بها إلى أن تكون فن القول الذي يقوم إلى جانب الفنون الأخرى من سمعية وبصرية، فلما تمت الفنية البلاغية واستقر أمرها ،كان الانتقال إلى ما يليها من محاولة في سبيل تأصيل هذه الفنية ،ووصلها بما يجدي عليها من المعارف

الإنسانية في الحياة الحاضرة الناهضة الراقية، ويبدأ النظر في ذلك الفهم الصحيح لحقيقة الفن ليعرف ما يتصل به الثقافة الإنسانية. و الفن –كما تعرف– هو الترجمة والتعبير عن الإحساس بالجمال والجميل والمعرفة الصحيحة لهما أول ما يفيد هذا الفن... ثم ضبط الإحساس بالجمال ،والتنبه الدقيق لهذا الإحساس، والخبرة بالنفس البشرية التي يصدر عنها ذلك الإحساس هو خير ما تقوم عليه دراسة فنية في حقيقتها وجوهرها، ومن هنا تبينت حاجة تلم البلاغة إلى لون من الدراسة الفنية المعتمدة على دراسات الجمال ". (الخولي، ص324)

على هذا النحو يكشف الخولي عن وظيفة البلاغة التي أخرجها من ضيق الشكل ومحدودياته لتستوعب التكوين الجمالي في العمل الأدبي فيما يمثله من علاقته بالإنسان والحياة، فعندما تبحث البلاغة في كيفية تعبير القول عن الإحساس بالجمال، فهي تتولى ذلك من منطلق يرى النشاط الوجداني لا ينفصل عن مظاهر الشعور الأخرى، ليبقى الدارس المتذوق يعايش النص المطلوب تحليله معايشة تخترق العالم الوجدانى أو تقترب منه، ويبقى طول معايشته للنص لا ينفصل عنه، ومتفطن إلى ما يمكن أن يطبع النص من تغيير الإحساس أو تطور في حالاته تبعا لموضوعاته ، وهذه المهمة تبدو شاقة ولكنها – حسب الخولي– وحدها الكفيلة إلى تذوق النص مستعينة بالعلوم الحديثة على أدائها كما تفعل الدراسات النفسية والجمالية اليوم ، على أن لا نغفل ونحن نحلل فنية البلاغة كما يراها الخولي أنها مقدمة إلى هدف أساسي هو الوصول إلى منهجية جديدة لتفسير القرآن الكريم .

لم تكن كتابات الخولي أبحاثا بلاغية بالمعنى الشائع ، أي لم يعن بتناول مشكلات البلاغة تناولا مفصلا، ولم يخض في مسائلها الجزئية خوضا علميا، لقد كان مشدودا إلى الأهداف الخطيرة التي رسمها لنفسه، إذ كان يرى أن الوعي بالأصول والأسس أولى من الفروع خصوصا إذا ربطنا مرحلة الخولي التاريخية بما كان شائعا آنذاك من أفكار التجديد لرواد النهضة الأدبية الحديثة، وهو واحد منهم إن لم نقل أولهم. كان رواد النهضة الأدبية مشغولون بكبريات الأمور، من ذلك النهوض بالإنسان، فرأوا أن البلاغة ومنها الأدب ينبغي أن تعبر عن إرادة الحياة، ومحاولة الخولي أن يجعل الدرس البلاغي في خدمة الإنسان بواسطة تنمية شعوره بالجمال المنزه عن المنابع المادية، واحدة من أهم هذه الانشغالات، يضاف إليها وظيفة الأدب عموما في التعبير عن الوجدان والمشاعر والقيم المتسامية .

إن تبلور تصور جديد للأدب في أوائل هذا القرن، كان دافعا لتجديد البلاغة وجعلها درسا يستمد منهجه من الطبيعة المخصوصة للأدب، أي ضرورة النظر إليه باعتباره نشاطا وجدانيا يعبر عن الذوق والشعور. لقد بذل الخولي ما في وسعه لتخلية الدرس البلاغي من وسائل ما أسماه بـ"المنهج العلمي النظري" كالعناية بالتعريف والتحديد والقاعدة والجدل والمنطق. لقد دخلت هذه الوسائل دائرة البلاغة الأدبية مما أدى إلى اضطراب المنهج واختلاطه، وأصبح الدرس البلاغي بأبحاثه المقحمة لا يستجيب لروح الأدب، أو إن شئنا قلنا إن البلاغة كانت تتوخى الوظيفة التعليمية أكثر مما تتوخى الوظيفة الجمالية في تناولها للأدب. على هذا النحو تراجعت مكانة الأدب في عالم البلاغة الواسع، وضاع المنهج الأدبي في خضم تداخله بالمناهج الكلامية والأصولية والنحوية والمنطقية. وكان من نتائج ذلك غياب منهج يلائم طبيعة الأدب ويخلص للحكم الجمالي بدل الأحكام العقلية والعلمية. "إن البلاغة العربية حينما جعلت درسا تعليميا يمارس ويزاول بطرق مدرسية منظمة، كانت ظروفه تقضي عليه بإيثار منهج تعليمي وأسلوب بحث مدرسي له صفة واضحة معينة، هي الاتجاه إلى الناحية النظرية التعليمية التي تعتمد على الضبط العقلي، والقواعد المطردة، والحدود الضابطة وما إلى ذلك، الأمر الذي يحقق الغرض العام التهذيبي المحض، ولا يتحقق معه في سهولة كثير من الغرض الأدبي العلمي الذي يراد من تعلم اللغة، ومعرفة أدبها وفنها القولي، فالحالة الاجتماعية كانت تدفع إلى هذا المنهج، أو لا أقل من أنها ترجحه". (الخولي، 1947، ص70)

يرى الخولي أن البلاغة هي الدرس الموضوعي الوحيد في الأدب، ومعنى ذلك أنها العلم الذي يجعل ما يصطلح عليه اليوم بـ"الأدبية"، موضوعا لدراسته. و أما علوم الأدب الأخرى، فإنها تعنى بدرس ما حول الأدب، أي الجوانب المتعلقة بالوظيفة الأدبية. ولأجل ذلك عمل على تحلية الدرس البلاغي ووصله بميادين تعمق فلسفته وتجدد أدواته، مثال ذلك الفنون ومذاهبها والدراسات النفسية والجمالية. لم يكن الشيخ يؤمن باستقلال الوظيفة الأدبية عن قيم الحياة، ولم ينظر إلى المتعة الفنية نظرة شكلية خالصة، ولكنه كان يؤمن بأن للأدب حقائق ينبغي الاهتداء إليها وأكبر تلك الحقائق ما ارتبط بالحياة، وليس غير الحياة يعطي الدلالة الحقيقية لوظيفة الأدب فكل " أدب في أي أمة من الأمم إنما هو يصور نوعا من أنواع حياتها، ولونا من ألوان شعورها وذوقها وتفكيرها وانعكاس صور الحياة في نفوسها ". (حسين، 1985، ص45)

كانت دعوته تقارب دعوة الرواد في النظر إلى الأدب وكأنه صورة الحياة وليس صناعة عقلية أو نظما وهياكل وعمل البلاغي من ذلك يتجاوز القواعد والحدود والوصف الشكلي إلى استجلاء قيم الحياة في الأساليب وتفسير الإحساس الجمالي باعتباره قيمة إنسانية رفيعة.

ونتيجة الجهد المتواصل لأمين الخولي في تجديد البلاغة، فتح المجال بعدها لدراسة القرآن الكريم في مختلف شؤونه الجمالية بإدخاله موضوعا بلاغيا وتفسيريا في الدراسات العليا بجامعة القاهرة، ليخضعه للمنهجيات السائدة في دراسة النصوص الأدبية معتبرا "أن العربي القح، أو من ربطته العربية بتلك الروابط يقرأ هذا الكتاب الجليل، ويدرسه درسا أدبيا، كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة، وتلك الدراسة الأدبية لها أثر عظيم وهذا ما يجب أن يقوم به الدارسون أولا وفاء بحق هذا الكتاب، ولو لم يقصدوا الاهتداء به، فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس سواء نظر إليه الناظر على أنه كذلك للدين أم لا". (الخولي، ص322)

والتفسير الأدبي عند الخولي يشمل على موضوعين – وزعتهما بنت الشاطئ إلى خصائص في مقدمة كتابها "التفسير البياني"، أما الموضوع الأول فهو دراسة ما حول النص القرآني ترتكز على دراسة البيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن وعاش، وفيها جمع وكتب وقرئ " فروح القرآن عربية ومزاجه عربي وأسلوبه عربي ، وقرآنا غير ذي عوج، ولهذا فالنفاذ إلى مقاصده إنما يكون على التمثل الكامل والاستشفاف التام لهذه الروح العربية وهذا المزاج العربي والذوق العربي، ولهذا يصبح كل ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية العربية وسائل ضرورية لفهم القرآن من ماض سحيق وتاريخ معروف ونظام الأسرة والقبيلة ، فكل ما تقوم به الحياة الإنسانية لهذه العروبة وسائل ضرورية لفهم القرآن العربي المبين". (الخولي، ص434)، ومن هنا نلحظ أن الدراسة حول القرآن تتجه إلى دراسة أثر البيئة والزمن وتشكيل المجتمع في فهم القرآن ودلالاته يعني فهم الواقع المحيط حتى نفهم القرآن، ففهمهم الزمني هنا ضروري من أجل تقديم فهم لمفردات القرآن المطلقة، أما الموضوع الثاني وهو دراسة القرآن نفسه وهي تبدأ بالنظر إلى المفردات، والأديب الناقد يجب أن يقدر عند ذلك تدرج الألفاظ. وتأثيرها في هذا التدرج يتفاوت بين الأجيال، وبفعل الظواهر النفسية والاجتماعية، وعوامل حضارة الأمة، وما إلى ذلك مما تعرضت معه ألفاظ العربية من تلك الحركات الجياشة المتطورة التي نمت بها الدولة الإسلامية، والنهضة الدينية، والسياسية، والثقافية مما انعكس على حياة الألفاظ العربية "حتى أصبح من الخطأ البين أن يعمد متأدب إلى فهم ألفاظ

النص القرآني الجليل فهما لا يقوم على تقدير تام لهذا التدرج والتغير الذي مس حياة الألفاظ ودلالتها ". (الخولي، ص37)

بهذه الرؤية المتجددة لأمين الخولي سارت مدرسته تنبع من القرآن الكريم تتناوله بحثا ودراسة، ووقف هو يوجه ويشرف على تلامذته، فكانت عشرات الرسائل تتناول مجاز القرآن، وقصص القرآن ومجموعة الصور الفنية في جمالياته بالإضافة إلى التفسير وعلوم القرآن، والأدب وتخرج على يديه نخبة من تلامذته غدوا قمة من قمم الأدب والنقد والدراسات الإسلامية نذكر على سبيل المثال: الأستاذ محمد احمد خلف الله وكتابه "**الفن القصصي في القرآن الكريم** "، و هو عبارة عن أطروحة دكتوراه، نوقشت في جامعة القاهرة ورفضت سنة 1948، بسبب آراء صاحبها حول القصص القرآني، منها نفيه لنبوة آدم، و اعتباره القصص في القرآن ليست حقائق وإنما مجرد تمثيل، وأستاذ التذوق البلاغي مصطفى ناصف وكتاباه" **نظرية المعنى في النقد العربي** " و "**الصورة الأدبية** " والدكتور عز الدين اسماعيل وكتاباه " **الأسس الجمالية في النقد العربي**" و "**التفسير النفسي للأدب** "وأستاذ علم الأسلوبية الدكتور شكري عيّاد وكتابه " **أرسطو طاليس في الشعر وأثره في البلاغة العربية** "، وكانت رسالة دكتوراه هامة أشرف عليها الخولي بنفسه ، وكتابه " **مدخل إلى علم الأسلوب** "، على أن أكثر التلاميذ تأثرا و ملازمة للأستاذ الخولي وأكثر وفاء لمنهجه، وخصوصا منهج التفسير البياني للنص القرآني ،كانت الدكتورة (بنت الشاطئ) عائشة عبد الرحمن من خلال كتابيها "التفسير البياني للقرآن" في جزءين و"**الاعجاز البياني في القرآن ومسائل ابن الأزرق**".

5- خاتمة :

البيان حقل معرفي اتسع في بداياته ليشمل الشعر والخطابة وكل فنون القول التي كانت مدار الثقافة العربية الأصيلة، وبدأ دوره يتقلص عندما أخضع لعملية الضبط والتقعيد والتي أفرزتها المجادلات الفكرية والمذهبية، وظهرت المعتزلة كأهم مدرسة شغلت بالبيان لتوظفه في علم الكلام، وكان الإعجاز من أهم القضايا الجدلية التي برز البيان فيها كآلية تؤطر الخطاب الكلامي.

أما التفسير، شأنه شأن كل العلوم التي أخذت تبحث عن أطر البيان لتأخذ حجمها الطبيعي، فبدأ التفسير البياني مع حمى الصراعات الكلامية البيانية ، وشكل النص القرآني مرجعا هاما في الجدل وظهر ما بات يعرف بالتأويل وأخذ من المجاز ما يعزز موقعه.

هذا التراجع في وظيفة البيان انعكس على التفسير وانتقل كآلية للدفاع والهجوم المذهبي والأيديولوجي، حتى تفسير الزمخشري الذي عد في مرحلته أكمل ما وصلنا من التفسير البياني، نازعته الحمية المذهبية الإعتزالية، حتى كاد أن ينسى البيان، ليذكر الاعتزال.

في حمى التفاسير التي صيغت بقوالب التمذهب، ظهرت الدعوة إلى التجديد في التفسير، ومعه الدعوة إلى تجديد البلاغة التي تعتبر لغة البيان، وكان أمين الخولي أول من قال بالتجديد في هذا الإطار، ليطلق مشروعا تضمن آليات وخصائص ما أصبح يعرف بالمنهج البياني في التفسير والذي اكتمل على يد بنت الشاطئ.

ومن خلال هذه المحاولة الجديدة في الطرح والتناول يكون لأمين الخولي وعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) قد فتحتا المجال لما يعرف ب"النظرية القرآنية" وهو الموقف الذي يتبناه القرآن تجاه القضايا الفكرية والإنسانية في مقابل النظريات الغربية الحديثة ، ففتحا بذلك آفاق النص القرآني بأسلوب أدبي رائع متجاوزان في ذلك تعقيدات الطرح الأيديولوجي المذهبي .

المصادر و المراجع :

1. الجابري محمد عابد، 1990، **بنية العقل العربي**، ط03، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
2. الأصبهاني الراغب، 1961، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد كيلاني القاهرة، مطبعة مصطفى البابي .
3. الجاحظ، 1968، **البيان والتبيين**، تحقيق فوزي عطوي، ج01، ط01، بيروت، دار صعب.
4. الزمخشري أبو القاسم، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج.04، بيروت، دار الكتاب العربي.
5. بن عبد ربه، 1953، **العقد الفريد**، ج.02، تحقيق أحمد أمين وآخرين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
6. ابن منظور، **لسان العرب**، ج.01، بيروت، دار صادر.
7. الجرجاني عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تصحيح محمد عبده ومحمد محمود التركزي الشنقيطي، القاهرة، مطبعة المنار.
8. مطلوب أحمد، 1975، **فنون بلاغية**، الكويت، دار البحوث العلمية .
9. السكاكي، **مفتاح العلوم**، مصر، نشر البابي الحلبي وأخويه .
10. مطلوب أحمد، 1972، **مصطلحات بلاغية**، ط1، بغداد، مكتبة العاني .
11. عبد الرحمن عائشة، **الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق**، مصر، دار المعارف.
12. ابن الأثير أبي الفتح، 1995، **المثل السائر**، ج01، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار النشر المكتبة العصرية .
13. سزكين محمد فؤاد،1977، **تاريخ التراث العربي**، ج01، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
14. السيوطي جلال الدين، 1951، **الإتقان في علوم القرآن**، ج01، ط03، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي.
15. أبوزيد نصر حامد، 2003، **الاتجاه العقلي في التفسير**، ط05، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي .
16. ابن سليمان مقاتل، 1975، **الأشباه والنظائر في القرآن**، دراسة وتحقيق عبد الله محمود شحاتة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
17. بروكلمان كارل،1961، **تاريخ الأدب العربي**، ج04، ترجمة عبد الحليم النجار، مصر، دار المعارف.
18. ابن خلكان أحمد بن محمد، 1968، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج06 تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة.
19. الجويني مصطفى الصاوي، **مناهج في التفسير**، الاسكندرية، منشأة المعارف.
20. الفراء، 1955، **معاني القرآن**، ج01، ط01، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد النجار، مصر، دار الكتب .
21. الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، ج 19، بيروت، دار الفكر.
22. زغلول سلام، **أثر القرآن في تطور النقد العربي**، ط03، مصر، دار المعارف.
23. بن المثنى أبو عبيدة معمر، 1954، **مجاز القرآن**، ج1، ط01، تحقيق محمد فؤاد سزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي.
24. حسين طه، 1980، نقد النثر، بيروت، المكتبة العلمية.

25. الجاحظ،1957، **الحيوان**، ج01، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية .
26. عباس فضل محسن، (1985)، ديسمبر، **الكلمة القرآنية**، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، السنة الثانية، العدد الرابع، ص35 .
27. ناصف مصطفى، 1995، **اللغة و التفسير و التواصل، الكويت**، عالم المعرفة.
28. إسماعيل عز الدين، 1975، **نصوص قرآنية في النفس الإنسانية**، بيروت، دار النهضة العربية.
29. قصاب وليد،1985، **التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، الدوحة، نشر وتوزيع دار الثقافة .
30. أمين الخولي **سلسلة أعلام العرب**، 1982، سعفان كامل، مصر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
31. بروفنسال ليفي، وهارتمان وشاخت، **دائرة المعارف الإسلامية**، أشرف على تحريرها الإتحاد الدولي للمجامع العلمية، والنسخة العربية أعدها وحررها كل من الأساتذة : إبراهيم زكي خور رشيد، أحمد الشنتناوي، وتقديم الأستاذ الخولي لمادة التفسير في المجلد التاسع من ص 409 الى ص 436، القاهرة، دار الشعب .
32. الخولي أمين، 1961، **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، ط 01، ،القاهرة، دار المعرفة .
33. الخولي أمين،1947، **فن القول**، القاهرة، دار الفكر العربي.
34. حسين طه، 1985، **خصام ونقد** ، ط12، دار العلم للملايين، بيروت.